« شلال تيجوكا »

هو شلال كبير يتحدر من أعالي جبال « ألتوبوانيت » ويصب في وادي « تيجوكا » ورمادها المرمرة الخضراء، وتيجوكا هذه هي جبل الفرنج مرتفع عن أحياء عاصمة الاتحاد الفرنسي وعلى مسافة قريبة من الشلال حدائق غنا نة ساحرة ينقطع فيها عشاق العزلة الى أحلامهم وتأملاتهم ويزورها سكان العاصمة للنزهة والتمتع بمنظر الشلال المتجبر المهيب وهو يقذف من شدته الزبد على تلك الصخور الرمادية المتراكمة في بياض ملتفة الحواشي تكاد لا تلمحها الشمس حتى تحتجب وراء سلسلة من الآكام والغابات المتشابكة الغضة

أشلال تيجوكا — ماذا النواحُ أتبكي نظيري نعيماً عبرْ
ترى أنت عين الزمان تنزُّ الدمو ع أم أنك صوت القدرْ
تفيض بما لا تفيض العيون وتشدو بما ليس يشدو البشرْ
فهلاً ملِلت الغناء الشجيّ وهلاً اجتويت البكا والوجيب
فقد كدت تبكي عليك الصدى لهذا الغناء وهذا النحيب
وفتّت تحتك صم الحجرْ

* * *

غسلتُ بمائك عيني وعدت فأبصرت ما الناسُ لا تبصرُ..
فبالله قلْ لي — الا مَ تظلّ — كذلك تجتاحك الأعصر ؟
وأنت تكرّ كرور الزمان فلا تستقرُّ ولا تفترُ
وهذا الوجود كما كان قبل شعوبٌ تجيء وأخرى تروحْ
ودنيا تضجّ بسكانها فهذا يغني وهذا ينوحْ
وذلك مستسلم للقدرْ

* * *

فديتك قيثارةَ الطبيعة من متلتبها نسلت الوترْ
فطهّر بدمعك وجه الدجى وشنّف بلحنك أذن القمرْ
وعسّلْ بكأسك ثغر الورود فترقص سكرانة في السحرْ
وخلِّ فؤادي يقضي ظما لدى برد سلسالك الدافق
فلست تروّي قلوبَ العطاش الى نهلات الهوى الصادق
ولو سال من جفنك الكوثرُ

* * *

أشلال هذي الربى والوهاد يحسّ فيها الظلامَ الصباحْ
أتذكر من أمسنا ليلة تحلّت سماها بزهر الأقاحْ
و « ليلى » تغني الى جانبي غناء كترجيع ذات الجناح

فأصغى النسيم الى شدوها وأنصت في عشه البلبلُ
فكانت كعصفورة في الربيع تغنّ بعصفورها يرحلُ
وقد يُفجع المرء ما يحذر . .

* * *

وشجوكَ ، سيّان أضحى لدي — احترام العهود وحفظ الوداد
وإما استحال النهارُ ظلاماً وإما استحالت ذكاً رمادْ
وهذا الوجود اذا ما أتى عليهِ بشرخ الشباب النفادْ
فما زال من قد تعشقت فيها جمال الحياة ، احتواها الفناء
فلست أبالي ابتسامَ الربيع وحزنَ الخريف ودمعَ الشتاء
وغصنَ شبابي إذ يقصفُ

* * *

احقاً أتتك بجنح الدجى من الغاب جنّية ساحرهْ
وكنت قديماً سحابة صيفٍ تمرّ بغاباتها عابرهْ
لذا حوّلتك الى جدولٍ لكي تستحمّ بك الماكرهْ
فصرت وساماً بصدر الربيع وصرت حليّاً بجيد الحقولْ
تردد منذ قديم الدهور صدى نغماتك كل الفصولْ
كأنك من صدوها المعزفُ

* * *

تفجرْ ولوّنْ خدودَ الرياض فيبتهج الوردُ في كمّهِ
فإنك إما جفاه النهام الحبيب الوفي — على زعمهِ
تبرد حرّاً وتنعش نفساً
وتنبت زهراً وتنضح غرساً
فتدخل قسراً على القلب حبّا
وان كان أولع فيه الجفاف

* * *

يرفرف حولك سرب الحسان كسرب الحمام على ضفتيكْ
وكم تتلاقى أماني الشباب وأحلامهن على جانبيكْ
فيخفق صدرٌ ويحمرّ خدٌ
ويرشف ثغرٌ ويهصر قدٌ
ويهتك سترٌ وينثر وردُ
فتبكي لهذا عيون العفاف